نحو فهم الديمقراطية العسكرية .. بشكل افضل

الاخباري التابع من الوعي ، وغدت علامة تميز الجيش العامل لخدمة اهداف غالبية الشعب (جيش الشعب) عن الجيش العامل لصالح حفنة وطنية صغيرة مستغلة (جيش القمع) او حفنة استعمارية غازية (جيش العدوان) .

وهنا لا بد من وقفة امام مسالة الديمقراطيه والانضباط ، فالديمقراطية الصحيحة لا تعني زوال السلطة وانعدام الانضباط وعدم تنفيذ الاوامر ، وتؤكد القلائد العسكرية لكافةالجيوش الشعبية ضرورة التمسك باهداب الانضباط والنظام والحرص على تنفيذ اوامر القيادات وسالجا في هذاالنقطة الى ذكر بعض الاستشهادات الضرورية لتبديد الكثير من الاوهام الخاطئة حول مفهوم الانضباط في الديمقراطية العسكرية.

يقول جياب « يمارس الجيش الشعبي الفيتنامي نظاما صارما مع دبمقراطية داخلية واسعة » ..يجب على المقاتل ان ينفذ اوامر رؤساته ، وعليه ان يلقي بنفسه جسدا وروحا في سبيل الانجاز السريع والحازم للمهمات الموكولة اليه » (١٥) ... « هل حرب العصابات لا تتطلب النظام الصارم ؟ طبعا لا . ولا بد من اعطاء حرية المبادرة ، ثم الوصول في النهاية الى القيادة المركزية في مرحلة معينة ... ولا يتعارض النظام مع الديمقراطية الداخلية ، ففي داخل الوحدات دبمقراطية ، وكلما زاد احترام الدبمقراطية على مبدأ المركزية الدبمقراطية كلما ازدادت وحدة الجيش وساد النظام ونفذت الاوامر ، وزادت قدرة الجيش القتالية » (١٦) ... « وتنفيذ الاوامر حتمي والزامي كما ننص على ذلك عهود الشرف العشرة » (١٧) .

ونقول التعليمات التي اعطاها هو شي مينه في المؤتمر المعقود لدراسة حملة هونغ فونغ الثانية ما يلي :

١ ـ المحافظة على النظام والنقد من الاسفل الى الاعلى وبالعكس .

٢ ـ تنفيذ الاوامر الصادرة من الاعلى بحزم « ايا كم ان تسيئوا فهم الديمقراطية عندما لا يكون قد احد القرار بعد قلنا مطلق الحرية في ان نناقش . ولكن عندما يؤخذ القرار يجب ان لا يستمر النقاش . واي نقاش يبرز بعد ذلك يركز فقط على الطرق والاساليب التي ينفذ بها القرار سريعا . ولا يجوز الاقتراح الا حول كيفية تنفيذ القرار . يجب علينا ان نمنع اي تصرف مثل هذا ناتج عن حرية غير منضبطة »(١٨)

فانا ما انتقلنا من الثورة الفيتنامية الى الجيش السوفياتي الذي سار بخطى عملاقة على طريق التحول منذ تاسيس الجيش الاحمر حتى اليوم ويقول ماريشال سوكولوفسكي يقول : الوتحقيق فاعلية تنظيم القوات المسلحة السوفياتية لا تعتبر الاوامر وتعليمات القادة محلا للنقد » (١٩) ولا تخرج التجربة العينية عن هذا المجال اذ تقول اول قاعدة من « قواعد النظام الثلاث » ما يلي : « اطع الاوامر في جميع افعالك » (٢٠) .

ولقد تعمدت اختيار الاستشهادات من مختلف التجارب الثورية حرصا مني على تاكيد ضرورة مراعاة النظام والانضباط واطاعة الاوامر لما في تجاهل هذه النقطة الهامة من نتائج واثار كارثوية على وحدة القوات الثورية وقدرتها القتالية .

فالنظام والانضباط وطاعة الاوامر لا تختلف باختلاف الجيوش ، الشيء الوحيد الذي يختلف هو ان التنفيذ والطاعة في جيوش القمع فرضيةاتية مبنية على الخشية او العادة على حين انهافي جيش الشعب طوعيةواعيةمبنيانها على وحدة الطبقة ووحدة المصلحة .

٦ ـ الديمقراطية ودعم النظام

ان غاية الديمقراطية هي دعم النظام وتقوية فاعلية القتال ، والدليل على تصورها الصحيح هو اثارة الجماهير وتعزيز القيادة المركزية . وبتم الوصول الى ذلك عن طريق تطبيق الديمقراطية بشكل صحيح لا مبالغات فيه تحت اشراف القيادة . وتثبت التجربة انه لا مجال للخوف من ان تؤدي ممارسة الديمقراطية العسكرية الى اضعاف النظام او اعاقة عمل القيادة بشكل يضيع الفرص الملائمة للقتال .

ونحن نعرف ان الحرب صراع حياة او موت ضد ضعفنا وضد اعمال العدو . وهي تتطلب عملا منظما ـفيما وقياده قوية السلطة قادرة على اتخاذ القرارات بسرعة في الوقت المناسب . اي انها تتطلب حدا كبيرا من المركزية . فكيف يمكننا تطبيق الدبمقراطية خلال القتال ؟ والرد على ذلك ان تطبيق الديمقراطية يزيد التفاهم والثقة بين المستوياتالعليا والمستوياتالصغرى، وبين المسؤول والمقاتلين ، وهذا ما يبدد المخاوف والشكوك ، ويجعل المسؤول قادرا على اصدار الاوامر بثقة اكبر ، وبقوم المقاتلون بتنفيذ هذه الاوامر واطاعتها عن وعي تام لما يقولونه ، كما ان دراسة الخطط بصورة دبمقراطية وتعديلها ، وفهم كل مقاتل لمكانه ودوره بكل وضوح خلال العملية كلها يدفع المقاتلين الى اظهار بداهتهم ودعم وحدتهم وتنسيق اعمالهم في المعركة بصورة واعية ، ويجعلهم قادرين على التصرف بشكل صحيح او استلام القيادة اذا ما قتل المسؤول ونائبه او جرحا .

ولا تسبب المناقشات وسبر الاراء اضاعة الوقت او اثارة الاختلافات ولكنها على العكس تتيح نفاهما افضل ، وتدعم الوحدة ، وتبلور ارادة الشعب ، وتوحد العمل على كافة المستويات حتى يتم انجاز المهماتبصورة افضل. ولكن هذا كله لا يعني تخفيف مسؤولية القوادر ، ودفع هذه القوادر الى عمل ما تريده الاكثرية، والاختفاء خلف اراء القواعد والتخلي عن القيادة والمركزية . ولا تقصر مهمة القوادر على السير بسلبية وراء التيار دون تحليل اراء الجماهير او التمييز بين المقترحات ، ولكن عليها ان تعمل بشكل خلاق يتناسب مع دورها « كممثلة للحزب والشعب وتقوم بتنفيذ ارادتهما وتحقيق سياسة الحزب داخل القوات المسلحة » (٢١) كما يتناسب مع مسؤوليتها عن الحالة السياسية والمعنوية والانضباطية والقتالية داخل القوة المسلحة المكلفة بقيادتها . وينجسد عملها الخلاق بفهم الموقفالملموس ، واجراءالدراسة والبحثبصورة دبمقراطية ، ثم اتخاذ القرارات ومتابعتها باصرار وحزم . وتحمل المسؤوليات خلال التنفيذ والاستعداد للمواجهةوالنقد عندما تسنحالظروف بذلك . والقرار السليم هو القرار الذي يساعد على دفع العمل الى امام ويكون سببا لتنفيذ المهمةوالرد للتمييز بين الديمقراطية العسكرية الصحيحة والخاطئة هو الاتجاه العام الذي ينجم عن تطبيقها ، فاذا ما زادت الوحدة الداخلية ودفعت لتنفيذ المهمات الى امام بمزيد من الاصرار والفاعلية والبداهة كانت صحيحة ، واذا كانت عاملا على التفاسخ والتراخي كانت خاطئة لدى على فهم سيء لحقائق الامور .

٧ ـ سيطرة الحزب

ان الضمان الاساسي لممارسة الديمقراطية بشكل ثابت ، واتباع الخط الجماهيري في القوات المسلحة هو التمسك بنظام توزيع المسؤولية داخل القيادة تحت اشراف القيادة الجماعية للحزب .

ويتم الفصل في جميع المسائل الكبرى بعد مناقشتها في لجنة الحزب الا في حالة الطوارىء حيث يتعين على المسؤولين العسكريين اتخاذ قرارات سريعة لمعالجة حالة طارئة مفاجئة ، على ان تكون هذه القرارات على مسؤولية من يتخذها وان تخضع للمناقشة والنقد بعد زوال الحالة الطارئة او عندما يغدو ذلك ممكنا .

وتساعد المناقشات الهادفة وسيطرة الحزب على ابراز العوامل الايجابية ، وحشد تجربة الجماهير وحكمها ، ومنع اي فرد من احتكار جميع اوجه النشاط واتخاذ قرارات تتعلق بالمشكلات الهامة بمفرده . ومع هذا يستطيع المسؤول المختص ان يلعب دوره الكامل ويتخذ قرارات عاجلة على مسؤوليته خلال ممارسة سلطته اثناء القتال ، على ان يخضع عمله فيما بعد لمراقبة الحزب ونقده وان تخضع قراراته للتعديل عند اللزوم وعندما تسمح ضرورات القتال بذلك . ومن المعروف ان النزعة الفردية والروح الاستبدادية والطموحات المريضة ، والاتجاهات العسكرية القديمة تكمن دائما وراء الخدر من سيطرة الحزب ، ووراء كافة الحجج القائلة بان هذه السيطرة تسيء الى الانضباط والفاعلية القتالية . ويتجاهل المعارضون لسيطرة الحزب ان زعامة الحزب على القوة المسلحة تعني تكريس القيادة الجماعية الموحدة على جميع المستويات ، وتمنع اي تحكم فردي يؤدي في النهاية الى انحرافات بورجوازية صغيرة . كما يتجاهلون بان التمسك بالنظام الخاص بتوزيع المسؤولية بين القادة في ظل زعامة لجان الحزب هو الضمانة الاساسية لممارسة الديمقراطية داخل القواتالمسلحة ، ولاتباع الخط الجماهيري الصحيح .

الانحرافات عند تطبيق الديمقراطية :

يؤدي عدم تجذير الوعي السياسي ، او سوء فهم الديمقراطية العسكرية بكل ابعادها ، او وجود ميول فردية وروح تحكمية لدى القادة الى ارتكاب اخطاء فاحشة ، والتعرض لانحرافات خطرة . واهم هذه الانحرافات ما يلي :

١ ـ التطرف : اي المناداة بالديمقراطية المتطرفة الى ابعد مدى و « بحث المسائل على المستويات الدنيا قبلقرار المستوياتالعليا »(٢٢) واستخدام الصعوبات كذريعة في اهمال كتابة التقارير ، وتجاهل التنسيق في القتال ، وتنفيذ الاوامر بشكل غير محكم ، وتخفيف المركزية . وينجم هذا الانحراف عن فكر فوضوي غير بروليتاري .

٢ ـ التقاعس : اي استغلال الديمقراطية ، والمناقشات ، واستطلاع الاراء لتخفيف الجهود وبذل الحد الادنى من العمل والتفخيخ وجر القطعة المقاتلة الى وراء بدلا من دفعها الى امام . وينجم هذا الانحراف عن عقلية متخاذلة تشاؤمية .

٣ ـ التحجر : اي الاستفادة من الاخطاء التي يرتكبها اعداء الديمقراطية ومستغلوها من المغامسين او الفوضويين والاستناد الى الكر لمهاجمة المبدا نفسه وتجريحه واسقاط الوا بالقوات المسلحة الثورية الى النظام الا والانضباط السابق ، والمركزية الطائفة دعم وحدة القوات ورفع مستوى فاعليتها هذا الانحراف عن عقلية عسكرية لا بالقاليد والاساليب المعهودة ، او عن عق بورجوازية لم تستطع التخلي عن نظر الاستعلائية بالنسبة للجماهير وتجربتها وامكاناتها .

والوعي السياسي ـ كما ذكرنا ـ هو الس الاول للتغلب ضد هذه الميول الفو والانحرافات على مختلف انواعها . كما ان العلاقة بين المركزية والديمقراطية الوا الموازن بينهما امر اساسي لرؤية المسالة ا واضح عليها بان هذا التوازن يخضع لقوا كثيرة متباينة كطبيعة المرحلة ، ونوع التنا الذي تمارسه القوات الثورية ، واشتداد المعركة ، وسيادة ظروف السرية او التخفي وامكانات القادة ودرجة اعدادهم ، وقدرة وس الاتصال والارتباط المتوفرة ... الخ فلا تس الديمقراطية وبرفع مستوى اللامركزية وا السري ، او عند انتشار القوات بشكل كبير او في حالة انتشار الوعي السياسي ... الخ على حين تفرض المركزية وجودها ، وتضع الديمقراطية الى الحد الادنى عند عدم توفر الوعي الكافي ، او في المنعطفات الخطرة الكبرى ، او عندما تتازم الامور وتصبح القضية بحاجة لمركزية شديدة .

ويقدم لنا تروتسكي في خطاب يوم ١١ نيسان (نيسان) ١٩١٨ صورة للاسلوب الذي تجاوزت الثورة عندما تجد نفسها محاطة بالاعداء ، ومعرضة للمخاطر ، ويقول تروتسكي في ظل الذي القاه وسط خضم الحرب الاهلية الدائر « ويجب فرض الانضباط بالقوة والارغام ، وحتى عند الضرورة بتوقيع الجزاء بالاعدام لاهمال الجبن والفرار والجرائم العسكرية الاخرى ولا تتطلب الثورة توافر الانضباط في الجيش فحسب ، ولكنها تعمل على تعليمه ، وهي من الممكن ان تتولى امور الجيش هيئات لم تكن ولا ان ينتخب الجنود قيادتهم . بل يجب ان يكون الجيش في قبضة قوية تمثل السلطة العسكرية » (٢٣) .

ولكن مثل هذا الامر يبقى مؤقتا مرحليا ريثما يرتفع مستوى الوعي ، او تنتهي ف الازمة ، او تجتاز الثورةالمنعطف التاريخيالهام عندها تعود الامور الى نصابها وتتألف ف المركزية ، ويرتفع سهم الديمقراطية من جد

★★★

ان الديمقراطية العسكرية مسالة مبدئية وخط جماهيري ، وانعكاس لمبدأ المركز الديمقراطية في الحزب ، اي لمبدأ «الديمقرا الداخلية والنظام الحديدي » . ولا يمكن ف الديمقراطية العسكرية تدبيرا مؤقتا مرتبط بحالة العصابات او القوات الثورية وجمي واساليب قتالها . فهي على العكس تدبير دا

الفتيات الحديديات

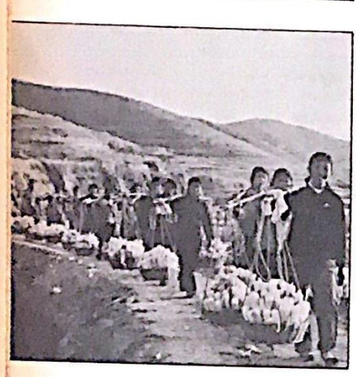

■ بكين ـ خاص « للهدف »

هناك عدد من الفيالق الصدامية في الريف الصيني مؤلفة من فتيات نشيطات يطلق عليهن اسم فرق « الفتيات الحديديات » . فهن يقاتلن مسلحات بافكار ماوتسي تونغ ، في الجبهة الامامية للصراع الطبقي ، الصراع من اجل الانتاج والتجربة العلمية . انهن فرق لبنى الريف الاشتراكي الصيني الجديد ، يزرعن بحماس للثورة ومستعدات على التوجه الى حيث المصاعب كبيرة .

وقد تشكلت الفرق الاولى للفتيات الحديديات من فتيات لواء تاخاي للانتاج ، القدوة الوطنية في الزراعة . ان لافليم هي بانغ مركز لواء تاخاي ، للانتاج ٥٧) فرقة من الفتيات الحديديات تضم ٥٢٠٠ فتاة .

لقد نشات فرقة فتيات تاخاي الحديديات في خضم نضال قاس ، كان ذلك في شهر آب من عام ١٩٦٣ عندما هطلت سيول جارفة لسبعة ايام دون توقف على فيلق تاخاي للانتاج ، في تاتبا سلسلة جبال تاي هانغ . فقد انهارت معظم البيوت الكهوف ، وجرفت بعض جسور الحقول ، وقد جرفت حتى بعض السدود الحجرية ، كانت اكبر كارثة تقع في هذا القرن ، ولكن الفلاحين الفقراء وفلاحي الطبقة الدنيا ـ المتوسطة رفضوا ان يستسلموا لليأس ، وبقيادة فيلق فرع الحزب ، وسكرتيره تشين يونغ ـ كوي ، درسوا تكرارا افكار ماوتسي تونغ : « من بين كل اشياء في العالم ، فان الانسان اثمن ما في الوجود .

وبقيادة الحزب الشيوعي ، وطالما هناك شعب ، فانه يمكن تحقيق اي نوع من المعجزات » . وقد رفض هؤلاء معونات الدولة المالية ، والحبوب وغيرها من المواد ، وقرروا الاعتماد على جهودهم الخاصة لتجاوز نتائج الفيضان ، واعادة بناء قريتهم تاخاي الجديدة .

ان كمية هائلة من العمل تلزم لبناء البيوت الجديدة ، انقاذ المحاصيل وترميم جسور الحقول التداعية واعادة بناء السدود . كانت تلك المهمات هائلة . في مثل هذه الظروف قررت ٢٣ فتاة انشاء فرقة صدامية : كن قد انتهين توهن من المدرسة الابتدائية ، واكبرهن كانت في الثامنة عشرة من عمرها ، واصغرهن في الرابعة عشرة، وفورا قامت هذه الفرقة بقيادة كاو سو لان ابنة فلاح فقير ، بعملية اعادة تجليس النباتات في عشرات الهكتارات من الحقول الموحلة . وعملن في الوحول بعناد ، متحدين الشمس الحارقة ، متناسين جوانبهن المتعبة والدماهن المتالمة ، ورفعوا النباتات واحدة واحدة .

وفي الشتاء اشتركن مع اعضاء كومينة الرجال في العمل من الفجر حتى الغروب في الحقول المكسوة بالثلوج ، وفي درجة حرارة بلغت ٢٠ درجة تحت الصفر ، وذلك لترميم مساطب الحقول التداعية ، ورغم مساعدتهم لرؤية هذه الفرقة تعمل بقوة واخلاص ، فقد قلق رفاقهم في فرع الحزب عليهن وهن يعملن في مثل تلك الظروف القاسية ، وطلبوا اليهن العودة الى بيوتهن للراحة ، ولكنهن رفضن قائلات : « يجب ان نتعلم من الجبل الاكبر الذي لا يخشى المصاعب والتعب في بناء تاخاي الجديدة ، وسنصمد حتى النهاية » . وامتدحهم اعضاء اخرون : « هؤلاء الفتيات فتيات حديديات » ، ومنذ ذلك الوقت صرن يعرفن باسم « فرقة الفتيات الحديديات » .

وانقضت ثماني سنوات . وبقيت فرقةالفتيات الحديديات قوة مناضلة بارزة ، قوة شابةحيوية في بناء زراعة داتشاي ، رغم ان قيادة الفرقة تغيرت ثلاث مرات ، وترك عدد من الاعضاء عندما كبرن ، انهن يقدرن على زراعة البذار وعزق الارض والحصاد ، وحتى على المهمات التي كان يقوم بها ذوي المهارات .

ولكن ما يكسبهن ارفع مديح هو شجاعتهن في معالجة اصعب المهمات ، ومن اجل اضافة سنة حصاد اخرى جيدة قامت الفتيات بتسلق الجبال وانتزاع الحشائش البرية لصنع مزبج لتسميد الارض ، وذلك الى جانب عملهن اليومي المنتظم في الحقول ، كن ينطلقن في الصباح الباكر ويعدن في وقت متاخر ، وكن يقطعن مسافات طويلة بعد قطع الحشائش في المناطق القريبة.

كن جد متعبات ، والالم يعتصر ايديهن ، ولكن لم يحدث قط ان تذمرن ، كن يقلن : «نحن الفتيات الحديديات لا نخشى المصاعب، سنعطي الفضل ما عندنا لقضية الثورة » .

وفرقة الفتيات الحديديات ليست فقطفرقة صاعقة في مجال الانتاج بل فرقة دعائية بارزة لافكار ماوتسي تونغ ، انهن ينتهزن الفرص لزيارة بيوت الفلاحين الفقراء ، وفلاحي الشريحةالدنيا من الطبقة المتوسطة ، للاستماع الى رواياتهم عن تاريخ الصراع الطبقي ، فهذا يساعدالفتيات على رفع مستوى وعيهن للصراع الطبقي . وفي الوقت ذاته يساعدن الفلاحين على دراسةاعمال الرئيس ماوتسي تونغ ، كذلك فهن يؤلفن اغنيات قصيرة جميلة ورقصات ، عن الشعوب البطلة والمثابر في الحركة الجماهيرية للدراسة الحية ،

وتطبيق افكار ماوتسي تونغ في النضال لاعادة صنع الطبيعة ، ويقدمنها لاعضاء الكومبون لتشجيعهم على التقدم .

وقد قدمت فرقة الفتيات الحديديات في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، عدة اعمالادبية وفنية تعرض فيها وتنتقد جريمة المرتد ، ليو تشاو تشي ، في دفعه للخط التراجعي المفاد للثورة ، واعمالا تمجد فيها الانتصارات المجيدة لخط الرئيس ماوتسي تونغ الثوري .

ان فرقة الفتيات الحديديات تنشا على فكر ماوتسي تونغ ، وعادة يرفع فيلق فرع الحزب وعي الفتيات السياسي برواية تاريخ الصراع الطبقي ، الصراع بين الخطين ، والصراع الحالي في الفيلق وفي البلاد ككل ، وفي الوقت نفسه فانه يستمعل افكار ماوتسي تونغ لتثقيفهم ومساعدتهم في تبني فكرة التزامهم بالثورة والشعب ، ان اربعة من اعضاء الفرقة ادخلوا في الحزب الشيوعي .

وكوو فينغ ـ لين القائدة الثانية لفرقة الفتيات الحديديات : وحاليا نائبة سكرتيرةلواء فرع الحزب ، هي واحدة من الاربعة . فهي عندما انهت دراستها الابتدائية عادت الى تاخاي في عام ١٩٦٢ . وهناك حدثها تشين يانغ ـ كيو ، سكرتير فرع الحزب ، عما قاساه في المجتمع القديم وعن الصراع بين الخطين الذي استمر منذ التحرير ، وقدم لها نسخة من مقتطفات الرئيس ماوتسي تونغ » وشجعها على دراسة اعماله واستعمال افكاره للتخلص من الافكار البورجوازية . قال لها تشين يانغ ـ كيو : « ان الرئيس ماو قال لكم انتم الشباب : « ان العالم لكم ، كما هو لنا ، ولكنه لكم في التحليل النهائي، اذا كنتم غير قادرين على تحمل امتحان عواصف الصراع الطبقي، واذا لم تتسلحوا بافكارماوتسي تونغ ، فان جيلكم سيخسر السلطة التي انتزعها الجيل القديم من العدو » . وشعرت كوو فينغ ـ لين بانها تلقت ثقافة عميقة ، لقد واصلت دراسة وتطبيق اعمال ماوتسي تونغ عمليا ، وجاهدت في اعداد نفسها لتكون خليفة لقضية البروليتاريا الثورية ، وعندما ضربت الاعاصير تاخاي مرة اخرى في عام ١٩٦٨ ، كانت كوو فينغ ـ لين اول من قفز في المياه المزمجرة لانقاذ حيوانات التعاونية . وفي لحظة خطيرة طلبت من رفيقاتها العودة الى الشاطيء ، ولكنهن رفضن تركها وحدها ، ومعا قاوموا وتمكنوا من انقاذ الحيوانات .

ورغم المديح والتكريم الذي حصلن عليه، فان اعضاء فرقة الفتيات الحديديات في تاخاي ما زلن متواضعات ومتقبلات انسجاما وتعاليم ماوتسي تونغ « ان التواضع يساعد على التقدم الى الامام، بينما الغرور يؤدي الى التباطؤ والتلكؤ».

انهن يتعلمن باستمرار من الفقراء وفلاحي الشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة ، وهن فرق الفتيات الحديديات في الوية الانتاج الاخرى . ويقارن فرقتهن دائما ، وبامانة ، مع غيرها من الفرق الاخرى المتقدمة لاكتشاف الثغرات التي يجب سدها بحيث يقدرن على رفع مستوى الثوبر الفكري ومواصلة تقدمهن المجيد على خط الرئيس ماو الثوري .